العنوان:	سعة الرزق في ضوء القرآن الكريم
المصدر:	مجلة البحوث والدراسات الشرعية - مصر
المؤلف الرئيسي:	الزاكي، أحمد الحاج النور
المجلد/العدد:	مج5, ع48
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	7 - 28
رقم MD:	691906
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الأرزاق
رابط:	

سعة الرزق في ضوء القرآن الكريم

د. أحمد الحاج النور الزاكي*

سلم البحث في ١٤٣٦/١٢/٢٤هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٧/١/٢٧هـ

ملخص البحث:

هدفت هذه الدراسة لتوضيح المفهوم الشامل للرزق وبيان الأسباب المؤدية إلى سعته، وتتمثل مشكلة الدراسة في قصر مفهوم الرزق في المال والمأكول والمشروب فقط، بينما هذا جزء منه لا كل، كما استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي متتبعاً الآيات والأحاديث المتعلقة بالدراسة وتحليلها، ومن ثم الوصول إلى أهم النتائج والتوصيات.

Abstract:

The chief aim of this paper is to explore the issue of livelihood and subsistence in a conceptual basis; this to be done by explaining the reasons behind increasing and boosting its capacity. The study's problem hinges in the misunderstanding of subsistence as only restricted to earning money, getting a drink and obtaining a bread, whereas these three types of subsistence represents only part of the whole. The researcher adopted deductive-analytic approach through analyzing a corpus of Quranic verses

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه، وأجرى عليهم الأرزاق ليشكروه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله ﷺ وآله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد، فإن من الأمور التي تهم الناس في حياتهم موضوع الرزق وما يتعلق به من وسائل كسبه، ومع وروده في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد تباين الناس في تحديد مفهومه بين موسع ومضيق ولذا كانت هذه الدراسة مشاركة في معالجة هذا الموضوع مهتدياً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف ﷺ.

* أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، بكلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الزعيم الأزهري، بجمهورية السودان.

أسباب اختيار الموضوع:

١- إن أهمية أي بحث تكمن في أهمية الموضوع الذي يتناوله بالدراسة، فبقدر شرف الموضوع يكون شرف الدراسة، وهذا الموضوع الذي تعالجه هذه الدراسة متعلق بالقرآن الكريم، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- اختلاف الناس في مفهوم الرزق.

٣- عدم اكتراث الناس في الحصول على الرزق من حله.

أهداف الدراسة:

١- التعرف على مفهوم الرزق وحكمه الشرعي.

٢- توضيح الوسائل الموصلة لسعة الرزق.

٣- بيان الحكمة من سعة الرزق وضيقه.

٤- التأكيد على أن الأرزاق مكتوبة مقدرة واصلة إلى أهلها.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في قصر -كثير من الناس- مفهوم الرزق في المال والمأكول والمشروب فقط، بينما هذا جزء لا كل، وإن مفهوم الرزق أشمل من ذلك.

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع وأهدافه ومشكلته.

المبحث الأول: مفهوم الرزق.

المبحث الثاني: الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق في السنة المطهرة

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
مفهـــوم الرزق

الرزق لغة:

الرزق مصدر رَزق يرزق رَزقاً ورِزقاً، فالرَزق بالفتح المصدر، وبالكسر

الاسم. وجمعه أرزاق. وهو كل ما ينتفع به، وارتزق الجند أخذوا أرزاقهم، والرزق الشكر: قال تعالى:﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾(الواقعة: ٨٨) أي وتجعلون نصيبكم في النعمة تحري الكذب، وقد يسمى المطر رزقاً ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(سورة الجاثية:٥)، وسمي المطر رزقاً لأنه يسببه ويحصل به. وقوله تعالى:﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات:٢٢)، الرازق والرآزق في صفة الله تعالى لأنه يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم.

والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم[١]، قال تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٦)، وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدرة لهم، وهي واصلة إليهم وفي حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ:" إن الله تعالى يبعث الملك إلى كل من اشتملت عليه رحم أمه فيقول له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فيختم له على ذلك"[٢].

الرزق: يقال للعطاء الجاري تارة دنيوياً كان أم أُخروياً، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة يُقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورُزقت علماً، قال تعالى:﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ (المنافقون:١٠)، أي من المال والجاه والعلم، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(البقرة:٣) وقوله تعالى:﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾(البقرة: ٥٧) وقوله:﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾(الذاريات:٢٢)، قيل عنى به المطر الذي به حياة الحيوان[٣].

الرزق اصطلاحاً:

الرزق اسم لما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان فيأكله، فيكون متناولاً للحلال والحرام. وعند المعتزلة: عبارة عن مملوك يأكله المالك، فعلى هذا لا يكون الحرام رزقاً، والرزق الحسن: هو ما يصل إلى صاحبه بلا كد في طلبه[٤]، ويطلق الرزق:

على ما يسوقه الله لعباده من مال وصحة وذكاء وعافية وليس مقصوراً –كما ذكر بعضهم– على المأكول والمشروب، وذلك جزء لا كل، فالعلم على وجه المثال رزق، وزكاته تعليم الناس وإرشادهم والبعد عن كتمانه، والصحة رزق وزكاتها إعانة الضعفاء وإغاثة الملهوفين(٥)، كما يطلق الرزق على: كل ما أوجده الله تعالى في الدنيا للإنسان من صنوف الأموال وضروب المأكولات والمشروبات والملبوسات والمركوبات والمساكن، ويطلق الرزق كذلك على: تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء والحظر على غيره أن يمنعه من الانتفاع به(٦).

ويتضح مما سبق من تعريف للرزق لغوياً واصطلاحياً وجود الصلة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي وهي أن الرزق في معناه الشامل هو كل ما ينتفع به في الحياة مما أوجده الله تعالى للإنسان، كما يبرز الاختلاف في كون الله يرزق الحرام أم يرزق الحلال فقط. فعند أهل السنة إن الله تعالى يسوق الرزق للحيوان فيكون متناولاً للحلال والحرام.

وعند المعتزلة: إن الرزق عبارة عن مملوك يأكله المالك فعلى هذا لا يكون الحرام رزقاً(٧).

واستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾(يونس: ٥٩).

استدلوا بهذه الآية على أن الحرام ليس برزق ولا دليل لهم فيها لأن المقدر للانتفاع هو الحلال فيكون المذكور هنا قسماً من الرزق وهو شامل للحلال والحرام والكفرة إنما أخطأوا في جعل بعض الحلال حراماً، ومن جعل أهل السنة نظيراً لهم في جعلهم الرزق مطلقاً منقسم إلى قسمين فقد أخطأ(٨).

والحق أن الله تعالى يفيض على ابن آدم بكل ما يقيم به أوده، ويعين به غيره كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦)، وابن آدم هو الذي يجعل منها الحلال والحرام، فإن كسبه كسباً طيباً لا خبث فيه فهو حلال، وإن كسبه من غير الحلال، وأنفقه فيما حرم الله تعالى، فهو الذي أوجد فيه الحرام، وفي الحلال

الثواب، وفي الحرام العقاب، والله تعالى يعد الرزق نعمة، وإذا أنفق في الحلال وكسب في الحلال كان من القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ولا يتقرب إليه سبحانه بكسب يكون طريقه ليس بحلال خالص.

ويروى أن رجلاً يكسب من الغناء والضرب على الدف، فقال يا رسول الله أُراني لا أرزق إلا من دفيِّ بكفي فأذن لي بالغناء في غير فاحشة، فقال رسول الله ﷺ: "لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أي عدو الله، والله قد رزقك الله حلالاً طيباً، فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله"(٩).

يتبين لنا مما سبق أن الذي يجعل الرزق حراماً أو حلالاً هو طريق الكسب له فإن كسبه من الحلال كان حلالاً وإن كسبه من الحرام كان حراماً وليست الحرمة والحل في الرزق نفسه وإنما في طريقة كسبه وإنفاقه وهذه تكون عن طريق الإنسان.

المبحث الثاني
الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق في القرآن الكريم

تكفل الله تعالى لعباده بالرزق وضمنه لهم وهم في بطون أمهاتهم كما ورد في قوله ﷺ:" إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح..."(١٠)، ومع تكفل الله تعالى لعباده بالرزق أمرهم بالسعي للحصول عليه وأن يأخذوا بالأسباب الموصلة إليه كما جاء في قوله:﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(الملك: ١٥). وأمر كذلك بالسعي للحصول على الرزق بعد أداء العبادات كما جاء في قوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(الجمعة: ١٠).

مع هذا وردت آيات في كتاب الله تبين أن هنالك أعمال تزيد في الرزق وتوسع فيه إذا سلكها الإنسان، كما جاء في السنة الشريفة مثل ذلك، فكيف نوفق بين ما ورد في الحديث بأن الرزق مكتوب ومحدد قبل أن يجئ الإنسان للحياة الدنيا، وبين الآيات والأحاديث التي بينت الأعمال التي إذا سلكها الإنسان يُزاد له في رزقه؟.

وقد وفق العلماء بين الحديث والآيات وذكروا أن لا تتعارض بينها، فبينوا أن الزيادة تحمل على حقيقتها لعلم الله الأزلي بها، وفُسرت الزيادة بالبركة[١١] وبهذا نخرج من هذا التعارض. والله أعلم.

ومن الأعمال التي ذُكرت أنها تكون سبباً في سعة الرزق ما يأتي:

أولاً: الاستغفار والتوبة:

قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:٥٢).

الاستغفار طلب المغفرة، وقد يكون ذلك باللسان، وقد يكون بإنابة القلب وطلب الاسترشاد والحرص على وجود المحجة الواضحة، ولم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط بل باللسان وبالفعال، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين[١٢].

والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة[١٣]، ويروى أن عاداً كان الله تعالى قد حبس عنها المطر ثلاث سنين، وكانوا أهل حرث وبساتين وثمار، فلهذا وعدهم بالمطر، وحضهم على استنزال المطر بالإيمان به والإنابة، وتلك عادة الله في عباده، ومنه قول نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح: ١٠-١٢)، ومنه فعل عمر رضي الله عنه حين جعل جميع قوله في الاستسقاء ودعائه استغفاراً فسُقي، فسُئل عن ذلك فقال: "لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء" ثم قرأ هذه الآية رضي الله عنه، وشكا رجل إلى الحسن البصري رضي الله عنه الجدب فقال له: استغفر الله تعالى، وشكا إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله تعالى، وقال له آخر: ادع الله تعالى أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله تعالى، فقيل له في ذلك فنزع بهذه الآية.

والاستغفار الذي أحال عليه الحسن ليس هو لفظ الاستغفار فقط، بل

الإخلاص والصدق في الأقوال والأعمال، وكذلك كان استغفار عمر ﷺ ومن اتصف بصفة الاستغفار يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه(١٤)، وتقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولاً بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه.

ثانياً: التقوى تجلب الرزق:

قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق:٢، ٣).

تبين الآيتان أن المتقي يدفع الله عنه المضرة بما يجعله له من المخرج، ويجلب له من المنفعة بما ييسره له من الرزق، والرزق اسم لكل ما يتغذى به الإنسان، وذلك يعم رزق الدنيا ورزق الآخرة، وقد ورد في سبب نزول الآية أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فبما تأمرني؟ قال: آمرك وإياها أن تكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت المرأة: نعم ما أمرك به، فجعلا يكثران منها فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم وجاء بها إلى أبويه فنزلت هذه الآية(١٥)، وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيق مخرجا ومن كل كرب فرجا، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمـــران: ٣٧) وجد عندها رزقا: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وفيه دلالة على كرامات الأولياء(١٦).

يجب عدم الخوض في صفة هذا الرزق كما خاضت الروايات الكثيرة، فيكفي أن تعرف أنها كانت مباركة يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقاً، حتى ليعجب كافلها –وهو نبي– من فيض الرزق. فيسألها: كيف ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد على أن تقول في خشوع المؤمن وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله: ﴿ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبينه –والتواضع عن الحديث

عن هذا السر – لا إظهاره والمباهاة به[١٧]، فهذا رزق ساقه الله للسيدة مريم بنت عمران وهو ليس خاص بها وإنما يحصل لكل من يتق الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد حصل للصحابي الجليل خبيب بن عدي بن عامر الأنصاري ﷺ، كان من أصحاب الرجيع الذين غدروا بهم، وأسروه وباعوه بمكة، وكان محبوساً بمكة لوحده عند الذين باعوه لهم، وقد أخبرت إحدى بنات الحارث الذي كان أسيراً في داره، فقالت: "والله لقد رأيته يحمل قطفاً كبيراً من عنب يأكل منه، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة كلها ثمرة عنب واحدة، وما أظنه إلا رزقاً رزقه الله خبيباً"[١٨] نعم إنه رزق آتاه الله عبده الصالح، كما آتى مثله من قبل مريم بنت عمران، يوم كانت: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

ومن الآيات التي بينت أن التقوى من أسباب الرزق ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)، فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب، واتقوا بدل الاستهتار لفتح الله عليهم بركات السماء والأرض، هكذا (بركات من السماء والأرض) مفتوحة بلا حساب. والتعبير القرآني يلقي ظلال الفيض الغامر، الذي لا يتخصص بما يعهده البشر في الأرزاق والأقوات.

إن العقيدة الإيمانية في الله وتقواه، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة، وعن خط تاريخ الإنسان إن الإيمان بالله وتقواه ليؤهلان لفيض بركات السماء والأرض، وعد من الله ومن أوفى بعهده من الله؟[١٩]، وبركات السماء والأرض: جمع بركة، وهي دوام الخير وبقاؤه، والمطر من بركات السماء والنبات والخصب والأمن والعاقبة من بركات الأرض، والبركة قد تكون مع القليل إذا أُحسن الانتفاع به، وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٥-٦٦).

يقول الله تعالى لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وينطبق هذا القول على أهل كل كتاب –إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم– وهذا جزاء الآخرة، وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم منهج الله المتمثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم –كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل– لصلحت حياتهم الدنيا، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق [٢٠].

وهكذا يتضح من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده وإن كان هو المقدم والأدوم، ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة قوة ونماء وحسن توزيع وكفاية تتضح من قوله: ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾، وهكذا يتبين أن ليس هنالك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة، وطريق آخر مستقل لصلاح الحياة في الدنيا. إنما هو طريق واحد، تصلح به الدنيا والآخرة، فإذا تنكب هذا الطريق فسدت الدنيا وخسرت الآخرة. وهذا الطريق الواحد هو الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الإلهي في الحياة الدنيا[٢١].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(طه: ١٣٢)، أمره الله تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويتمثلها معهم، ويصبر عليها ويلازمها. وهذا خطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أمته، وأهل بيته على التخصيص، ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشتغل بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم، فكان عليه السلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة. وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٦ – ٥٨).

ومن هنا يتبين لنا أن إقامة الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله به

أسباب الرزق وتوسعته عليهم، كما ورد ما يوضح أن هناك ارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله، وبين إغداق الرخاء وأسبابه، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، أي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لأسقيانهم ماء غدقا. أي كثيراً. لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلاً، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه. وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة. وقد كان العرب في الصحراء يعيشون في شظف، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الأرض التي يجري فيها الماء وتتدفق فيها الأرزاق. ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلابا. وما يزالون في نكد وشظف، حتى يرجعوا إلى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله.

هنالك أمم لا تستقيم على منهج الله وهي تعيش في قوة وغنى، فكيف نفسر ذلك؟، هذه الأمم التي نراها تعيش في غنى ووفرة وهي غير مستقيمة على طريقة الله، إنما هي في الحقيقة تُعذب بآفات أخرى في إنسانيتها أو أمنها أو قيمة الإنسان وكرامته فيها، كما أن هذا الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة، فلا يغتر الناظر به[٢٢].

ثالثاً: التوكل على الله تعالى:

التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عمّا في أيدي الناس، والمسلم يفهم التوكل الذي هو جزء من إيمانه وعقيدته أنه طاعة لله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأي عمل من الأعمال التي يريد مزاولتها والدخول فيها. فلا يطمع في ثمرة بدون أن يقدم أسبابها، ولا يرجو نتيجة ما بدون أن يضع مقدمتها، غير أن موضوع إثمار تلك الأسباب، وإنتاج تلك المقومات يفوضه إلى الله إذ هو قادر عليه دون سواه. فالتوكل عند المسلم إذاً هو عمل وأمل، مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا[٢٣]، إذاً التوكل هو أخذ بالأسباب والاعتماد على الله في النتائج، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٣).

ومن يتوكل على الله تعالى في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يضيع حقوقه فإن الله تعالى يكفيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه، ويقتضي قوله تعالى:﴿ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة ودفع المضرة، وأنه لا يقدر غير الله على ذلك قدرة مطلقة. روى القرطبي عن الربيع بن خيثم قوله: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له. وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ (التغابن ١١)، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ (الطلاق:٣)، ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ ﴾ (التغابن:١٧). ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (آل عمران:١٠١). ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦)[٢٤].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا"[٢٥]. ويفهم من الحديث يجب اعتماد القلب على الوكيل وحده سبحانه، وطلب الرزق بالبدن. أي الأخذ بالأسباب في طلب الرزق.

رابعاً: الهجرة في سبيل الله تعالى:

قال تعالى:﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (النساء:١٠٠)، فهذا تحريض على الهجرة وترغيب في مقاومة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد مندوحة وملجأ يتحصن فيه، فإن من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مذهباً يذهب إليه وداراً بها ورزقاً واسعاً يراغم به عدوه الذي اضطهده حتى هاجر من بلاده.

يتضح من الآية أن من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض فسحة ومنطلقاً فلا تضيق به الأرض، ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة وللرزق والحياة. ولكن نسبة لضعف النفس وحرصها وشحها، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض،

ومقيدة بظروف، ومرتبطة بملابسات فارقتها لم تجد للحياة سبيلا. وهذا التصور الخاطئ لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة هو الذي يجعل النفوس تقبل الذب، وتسكت عن الفتنة في الدين، ثم نتعرض لذلك المصير البائس. والله يقرر الحقيقة الموعودة وهي أن من يهاجر في سبيل الله إنه سيجد في الأرض سعة وسيجد عون الله في كل مكان يذهب إليه ويجد رزقه مقدر له [٢٦].

خامساً: الانفاق في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(سبأ:٣٩)، في الآية الكريمة دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فإن التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه، كما وعد تعالى أن من أنفق في سبيل الله شيئاً أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل انه يرزق ووصف به.

ومهما اتفق الناس من شيء فيما أمرهم به الله وأباحه لهم، فهو بخلفه عليهم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "قال الله تبارك وتعالى: يا بني آدم أنفق أنفق عليك"[٢٧]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر: اللهم وأعط ممسكاً تلفا"[٢٨]، وهذه إشارة إلى الخلف في الدنيا يمثل المنفق فيها إذا كانت النفقة في طاعة الله. وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء سواء في الإجابة أو التكفير أو الادخار؛ والادخار هاهنا مثله في الأجر، أما ما أنفق في معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ولا مخلوف له.

سادساً: اجتناب المعاصي:

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الروم:٤١)، في هذه الآية الكريمة يكشف الله تعالى عن ارتباط أحوال الحياة وأوضاعها بأعمال الناس وكسبهم، وأن فساد قلوب الناس وعقائدهم

وأعمالهم يوقع في الأرض الفساد، ويملؤها براً وبحراً بهذا الفساد، ويجعله مسيطراً على أقدارها غالباً عليها، فظهور الفساد هكذا واستعلاؤه لا يتم عبثاً، ولا يقع مصادفة، إنما هو تدبير الله وسننه، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ من الشر والفساد، حينما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيحرصون على مقاومة الفساد ويرجعون إلى الله وإلى العمل الصالح والمنهج القويم [٢٩].

اختلف العلماء في معنى الفساد الوارد في الآية، فقيل الفساد الشرك وهو أعظم الفساد، وقيل المراد بالفساد ظهور المعاصي من ظلم وقطع سبيل وقيل هو النقص في الزرع والثمار بسبب المعاصي. قال أبو العالية: " من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"[٣٠]، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود:" لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً"[٣١].

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت أنكف الناس أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات، وإذا تركت المعاصي كانت سبباً في حصول البركات في السماء والأرض. فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير (إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)[٣٢]، فإذا ظهر الفساد في البر والبحر من معاصٍ وغيرها فإن الله يحبس الغيث عنهم ويغلي الأسعار ليذيقهم عقاب بعض الذي فعلوا كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠).

ومما تقدم من تفسير لهذه الآية، نرى أن الآية بينت أن انتشار المعاصي في البر والبحر وفي الجو اليوم متمثل في عبادة غير الله تعالى، واستباحة محارمه وإيذاء الناس في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، كل ذلك نتيجة الإعراض عن دين الله وإهمال شرائعه وعدم تنفيذ أحكامه، وقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي بظلمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم. وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي فما يصيبهم من جدب وقحط وغلاء وحروب وفتن إنما أصابهم الله به ليذيقهم بعض الذي عملوا من الشرك والمعاصي لا بكل ما فعلوا إذ أصابهم بكل ذنوبهم لأنهى حياتهم وقضى على

وجودهم، ولكنه الرحيم بعباده اللطيف بهم [٣٣].

وبالنظر إلى حالنا الذي نحن فيه اليوم، فكأنما هذه الآية نزلت فينا، فكل ما جاء فيها منطبق علينا، فيجب علينا الاتعاظ بها حتى لا يحل بنا ما حل بالأمم السابقة، فعلى المسلم أن يتبع هذه الأسباب التي ذكرت حتى يوسع الله له في رزقه.

المبحث الثالث
الأسباب المؤدية لسعة الرزق في السنة المطهرة

كما بين القرآن الكريم الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق والتي سبق ذكرها في المبحث السابق، كذلك احتوت السنة المطهرة على عدة أسباب تؤدي إلى سعة الرزق، نذكر منها ما يلي:

أولاً: التبكير في طلب الرزق:

ينبغي التبكير في طلب الرزق لقوله ﷺ:" اللهم بارك لأمتي في بكورها" [٣٤].

البكور هو صدر النهار وأوله، وإنما خص النبي ﷺ البكور بالدعاء بالبركة فيه من سائر الأوقات لأنه وقت يقصده الناس بابتداء أعمالهم وهو وقت نشاط وقيام من دَعة، فخص بالدعاء لينال بركة دعوته جميع أمته. وكان النبي ﷺ إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار، وكان كذلك إذا بعث تجارة بعثها أول النهار، وإنما كانت البركة في أول النهار لأنه الوقت الذي تُقسم فيه الأرزاق، فيحرم ذلك الرزق الإلهي في يومه لنومه، فقد دعا ﷺ بالبركة لمن اغتنم هذا الوقت في أموره عامة دنيوية أو أخروية، فمن ضيعه فقد حُرِم رزقاً كان ينتظره من الله تعالى. وكما هو معلوم فإن البدايات لها أثر كبير في النهايات، فكلما كانت البداية متعثرة كانت النهاية فاشلة[٣٥].

ثانياً: صلة الرحم:

الرحم لغة: اسم مشتق من مادة (ر ح م) التي تدل على الرِّقة والعطف والرأفة، والرحم علاقة القرابة، وقد سميت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأن منها ما يكون ما يُرحم ويُرق له من ولد[٣٦].

صلة الرحم اصطلاحاً: هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك وقد

اختلفوا في حد الرحم التي يجب وصلها، فقيل: كل رحّم محرم، بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكراً حُرمت مناكحتهما، وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي فيه المحْرَم وغيره(٣٧)، وهذا هو الصحيح لقوله ﷺ:" إن أبّر البِّر أن يصل الرجل أهل ود أبيه"(٣٨).

وتكون صلة الرحم بإيصال ما أمكن من الخير إلى الأقارب ودفع الشر عنهم والإحسان إليهم، فعن أنس بن مالك ﷺ الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سَرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"(٣٩).

فقد بين الحديث أن صلة الرحم سبب في توسعة الرزق وذلك يقوله ﷺ "يبسط له في رزقه" وبسط الرزق توسعته وكثرته وقيل البركة فيه، وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤) وأجاب العلماء بأجوبة منها: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك(٤٠).

ثالثاً: المتابعة بين الحج والعمرة:

الحج هو التعبد لله عز وجل بأداء المناسك، على ما جاء في سنة رسول الله ﷺ في مكان مخصوص وفي زمان مخصوص. وهو مظهر عملي للأخوة الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية، حيث تذوب في الحج فوارق الأجناس والألوان واللغات والأوطان والطبقات، وتبرز حقيقة العبودية والأخوة فالجميع بلباس واحد، يتجهون لقبلة واحدة، ويعبدون إلهاً واحداً، كما أن الحج موسم كبير لكسب الأجور، تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات، ويقف فيه العبد بين يدي ربه مُقِراً بتوحيده، معترفاً بذنبه وتقصيره وعجزه عن القيام بحق ربه، فيرجع من الحج نقياً من الذنوب كيوم ولدته أمه، والحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم، وما هم عليه من علم أو جهل، أو غنى أو فقر، أو استقامة أو انحراف.

أما العمرة: فهي: التعبد لله بالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق

والتقصير، وهي واجبة في العمر مرة، وتسن في كل وقت من العام، وفي أشهر الحج أفضل من سائر العام، والعمرة في رمضان تعدل حجة [٤١]، فعن ابن مسعود ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة"[٤٢].

والحج من الجانب المادي فرصة متاحة لتبادل المنافع عاى نطاق واسع بين المسلمين، وقد كان بعض المسلمين في وزمن الرسول ﷺ يتحاشون التجارة في أيام الحج ويتحرجون من كل عمل دنيوي يجلب لهم ربحاً أو يدر عليهم رزقاً، خشية أن ينال ذلك من عبادتهم، أو يحط من مثوبتهم عند الله عز وجل، فأجاز الله تعالى لهم ذلك، ما دامت النية خالصة والمقصود هو الحج، ولكل امرئ ما نوى، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(البقرة:١٩٨).

وقد كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتحرجوا أن يتجروا فيها في موسم الحج فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. فنزلت هذه الآية. نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج، وسماها القرآن ابتغاء من فضل الله. ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله حين يتجر وحين يعمل بأجر وحين يطلب أسباب الرزق: إنه لا يرزق نفسه بعمله، إنما يطلب من فضل الله، فيعطيه الله، فأحرى أن لا ينسى هذه الحقيقة، وهو أنه يبتغي من فضل الله، وأنه ينال من هذا الفضل حين يكسب وحين يقبض وحين يحصل على رزقه من وراء الأسباب التي يتخذها للارتزاق، ومتى استقر هذا الإحساس في قلبه، وهو يبتغي الرزق، فهو إذن في حالة عبادة لله، لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه إلى الله، ومتى ضمن الإسلام هذه المشاعر في قلب المؤمن أطلقه يعمل وينشط كما يشاء، وكل حركة منه عبادة[٤٣].

ولذا اعتبر المتابعة بين الحج والعمرة من أسباب سعة الرزق.

رابعاً: التفرغ لعبادة الله تعالى:

العبادة: مصدر عبد يعبد عيادة، أي أطاع وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدل على معنيين: الأول: لين وذلّ، والآخر شِدة وغلظة، ومن الأصل

الأول أخذ العبد وهو المملوك(٤٤).

والعبادة في الاصطلاح: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وقيل هي: اسمع يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، وقيل: عبادة الله طاعته بفعل المأمور وترك المحذور، وقيل: العبادة فعل المكلف خلاف هوى نفسه تعظيماً لديه(٤٥).

والعبادة المشروعة لابد لها من أمرين: الأول: هو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله، أمراً ونهياً، وتحليلاً وتحريماً، وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله، الثاني: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى(٤٦)، ولهذا خلق الله الخلق لعبادته سبحانه، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً، يا ابن آدك تباعد مني أملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا"(٤٧).

ومعنى التفرغ لعبادة الله تعالى حضور القلب وخشوعه وخضوعه لله عز وجل أثناء العبادة، ولم يطلب الإسلام من المسلم المثالي أن يكون راهباً في دير، أو عابداً في خلوة، ليله قائم، ونهاره صائم، كل صمته فكر، وكل كلامه ذكر، وكل نظره تأملات! لاحظ له في الحياة، ولاحظ للحياة فيه، بل طلب منه أن يكون إنساناً عاملاً في الحياة، يعمرها ويرقيها ويدفع عجلتها إلى الأمام. وأن يسعى في مناكب الأرض ويلتمس الرزق في خباياها زارعاً أو صانعاً، أو تاجراً، أو عالماً، أو محترفاً بأي حرفة نافعة. غير أن عليه ألا تشغله مطالب الدنيا العاجلة عن حقائق الآخرة الباقية.

فالمسلم يوازن بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة:٩،١٠)، وهذا هو شأن المسلم: عمل وبيع قبل الصلاة، ثم صلاة وسعي إلى ذكر الله، ثم بعد انقضاء الصلاة انتشار في الأرض وابتغاء من فضل الله،

وفضل الله هنا هو الرزق والكسب.

ورواد المساجد في الإسلام ليسوا متعطلين ولا متبطلين، وإنما كما وصفهم القرآن: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور: ٣٧)، فهم أُناس لهم دنياهم وأعمالهم في تجارة وبيع، وما أشد ما تشغل التجارة والبيع ولكن ذلك لم يلههم عن حق الله تعالى.

صحيح أن الله فرض على الناس أن يعبدوه، وأن يتقربوا إليه، ولكن غلو المسلم في العبادة الشعائرية، وشغل الليل والنهار بها وحدها، وهضم حقوق الحياة من أجلها، أمر يرفضه الإسلام ورسول الإسلام، فليست تقوى الله وخشيته بترك الدنيا، والانقطاع للعبادة فالرسول الكريم ﷺ وهو أخشى الناس له، وأتقاهم له، ولكنه ﷺ لم يهدر حقه في الحياة وحق الحياة فيه[٤٨]، فلا يفهم التفرغ للعبادة بترك العمل والانقطاع لها والاعتماد على الآخرين في القيام على أمره بل إن العمل والسعي في كسب الرزق من أجل العبادات.

خامساً: إكرام الضعفاء والإحسان إليهم:

عن مصعب بن سعد قال: "رأى سعد ﷺ أن له فضلاً عن من دونه، فقال النبي ﷺ: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم"[٤٩]، وقد خلق الله تعالى الخلق فجعل بعضهم أقوياء وبعضهم فقراء لحكمة يعلمها، ثم طلب من القوي مساعدة الضعيف، ومن الغني أن يرحم الفقير، حتى يعيشوا في وئام وسلام، فإذا قام كل بواجبه تجاه الآخر عاشوا في سعادة في مجتمعهم واختفت منه الظواهر السالبة التي تكون أثراً لعدم التعاون في المجتمع، وإذا ما تم الإحسان إلى هؤلاء كان سبباً في إخراج الضغائن من قلوبهم والأحقاد من صدورهم، وتحل السعادة والمحبة والتعاون وتكون الطمأنينة على النفس والمال، كما أن هؤلاء الفقراء حينما يحسنوا إليهم يقابلون ذلك الإحسان بالدعوة للمحسن في أن يبارك الله في صحته وماله ويكون ذلك سبباً في زيادة وسعة رزقه ولذلك ينبغي علينا أن نكون مجتمعاً مسلماً متراحماً متعاوناً يرحم بعضنا بعضا وبذلك يرحمنا الله تعالى.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير رسله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أحمد الله على توفيقه لي في إكمال هذه الدراسة التي تناولت مفهوم الرزق وتعريفه والأسباب المؤدية إلى سعته كما وردت في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال العلماء من السلف والخلف رضوان الله عليهم وبعد مناقشة ذلك توصلت الدراسة إلى **أهم النتائج التالية:**

- مفهوم الرزق مفهوم شامل ليس مقصوراً على المال والمأكول والمشروب فقط. يكون الرزق حلالاً أو حراماً بالوسائل التي يكسب بها.
- الأرزاق مقدرة ومكتوبة للعبد قبل خروجه من بطن أمه.
- سعة الرزق وضيقه ليس لكرم العبد أو إهانته وإنما هي لحكمة يعلمها الله.
- تضمن القرآن كثيراً من الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق.
- اشتملت السنة على الأسباب المؤدية إلى سعة الرزق.

التوصيات:

- أُوصي الباحثين بإكمال جوانب هذه الدراسة التي لم أتعرض لها.
- أُوصي المسلمين بتحري الكسب الحلال في أرزاقهم.
- على المسلم أن يكون موقناً برزق الله له لتكفله بذلك.
- السعي على كسب الرزق باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك كما جاءت في القرآن والسنة وليس القعود عن ذلك بحجة أن الرزق مقدر من قبل.

هوامش البحث:

(١) لسان العرب ١٠/١١٥-١١٦، مختار الصحاح ٢٤١.
(٢) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ص: ٣٩٠ حديث رقم ٣٢٠٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن ٢١٤/٢١٥.
(٤) التعريفات للجرجاني ٩١.
(٥) في رحاب التفسير لكشك ١/٨٦.
(٦) أيسر التفاسير للجزائري ١/١٥.
(٧) التعريفات للجرجاني ٩١.

(٨) روح المعاني للآلوسي ١٨٩/١١.
(٩) سنن ابن ماجة كتاب الحدود، باب المخنثين ٨٧١/٢ حديث رقم ٣٦١٣.
(١٠) صحيح البخاري ص٣٩٠ حديث رقم ٣٢٠٨.
(١١) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/١٦ حديث رقم ٢٥٥٧.
(١٢) المفردات في غريب القرآن ٣٩٧.
(١٣) المرجع السابق ٨٤.
(١٤) المحرر الوجيز ١١٥/١٥ والقرطبي ٢٠١/١٨/١٨ – ٢٠٢.
(١٥) أسباب النزول للواحدي ص٢٨٩ والطبري ١٣١/١٣٠/١٢.
(١٦) تفسير ابن كثير ٢٧/٢ والطبري ٢٤٤/٣.
(١٧) في ظلال القرآن ٣٩٣/١ والمحرر الوجيز ٩٣/٣.
(١٨) أسد الغابة ٦٨١/٢ – ٦٨٢ وسير أعلام النبلاء ١٤٦/٣ – ١٤٧.
(١٩) تفسير ابن كثير ٣٢٤/٣ – ٣٢٥ وفي ظلال القرآن ١٣٣٩/٣.
(٢٠) المحرر الوجيز ٥١٥/٤ والقرطبي ١٨١/٦ – ١٨٢.
(٢١) في ظلال القرآن ٩٣٠/٢ وتفسير ابن كثير ١٠٨/٣ – ١٠٩.
(٢٢) المحرر الوجيز ١٤٣/١٥ وفي ظلال القرآن ٣٧٣٤/٦.
(٢٣) منهاج المسلم للجزائري ١٣١.
(٢٤) القرطبي ١١٤/١٨ والطبري ٢٤٩/١٢.
(٢٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد باب في التوكل على الله ٥٧٣/٤ حديث رقم ٢٣٤٤.
(٢٦) تفسير ابن كثير ٢٨٦/٢ وفي ظلال القرآن ٧٤٥/٢.
(٢٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير وكان عرشه على الماء ١٧٢٤/٤ حديث رقم ٢٣٤٤.
(٢٨) فتح الباري ٣٨٨/٤ ، باب الزكاة حديث رقم ١٤٤٢.
(٢٩) الطبري ١٩٠/١٠ – ١٩١ وفي ظلال القرآن ٢٧٧٣/٥.
(٣٠) تفسير ابن كثير ١٧٩/٦.
(٣١) صحيح الجامع ١١٣٩ حسّنه الألباني.
(٣٢) فتح الباري ، كتاب الرقاب، باب سكرات الموت ٤٤٠/١١ ، حديث رقم ٦٥١٢ .
(٣٣) انظر أيسر التفاسير ٩٨٣/٢.
(٣٤) سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر ٣٥/٣ حديث رقم ٢٦٠٦.
(٣٥) انظر المصدر نفسه.
(٣٦) مقاييس اللغة ٤٩٨/٢ والصحاح ١٩٢٩/٥ والمفردات في غريب القرآن ٢١١.
(٣٧) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/١٦.
(٣٨) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب ١٠٩/١٦.
(٣٩) صحيح البخاري كتاب البيوع باب من أحب أن يبسط له في الرزق٧٢٨/٢ حديث رقم١٩٦١.

(٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٤/١٦.
(٤١) مختصر الفقه الإسلامي ٦٤٧.
(٤٢) سنن الترمذي كتاب الحج والعمرة باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ١٧٥/٣.
(٤٣) في ظلال القرآن ١٩٧/٢ – ١٩٨ والعبادة في الإسلام ٣٠٤.
(٤٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٦/٤ والمفردات في غريب القرآن ٣٥١.
(٤٥) التعريفات للجرجاني ١٢٠.
(٤٦) العبادة في الإسلام ٣٢ –٣٣.
(٤٧) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٦٤٢/٤.
(٤٨) العبادة في الإسلام ٨٥.
(٤٩) سنن النسائي كتاب الجهاد باب الاستنصار بالضعيف ٤٥/٦ حديث رقم ٣١٧٨.

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.
ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:
١. أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان (بدون طبعة(١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م؟
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٠م.
٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون طبعة وتاريخ).
٥. جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٦. الجامع لحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار أحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٨. سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون طبعة – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
٩. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق عزت عبيد، دار الكتب العلمية بيروت، (بدون طبعة وتاريخ).

١٠. سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون طبعة وتاريخ).
١١. سنن النسائي شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ – ١٩٣٠م.
١٢. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق خيري سعيد المكتبة التوفيقية القاهرة، (بدون طبعة وتاريخ).
١٣. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تقديم العلامة أحمد محمد شاكر، ألفا للنشر والتوزيع مصر (بدون طبعة) ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
١٤. صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مؤسسة الفرقان – بيروت (بدون طبعة وتاريخ).
١٥. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٦. العبادة في الإسلام، دكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة ١٥، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيوت لبنان، (بدون طبعة وتاريخ).
١٨. في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك،المكتب المصري الحديث، القاهرة (بدون طبعة وتاريخ).
١٩. في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٠. كتاب التعريفات، للسيد الشريف علي محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٢١. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر – بيروت (بدون طبعة وتاريخ).
٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، الدوحة قطر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٧م.
٢٣. مختصر الفقه الإسلامي، محمد إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الأردن (بدون طبعة وتاريخ).
٢٤. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية ت قم إيران (بدون طبعة وتاريخ).
٢٥. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٢هـ